

نزيه أبو عفش

نزيه أبو عفش

أيها الزمان الضيّق
أيتها الأرض الواسعة

شعر

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق ١٩٧٨

تصميم الغلاف : نزيه أبو عفش

لماذا نكتب الشعر ؟

في عالم مدجج بالأسلحة والطغيان والمقابر والأوبئة .. ماذا يستطيع الشعر أن يفعل ؟ ماذا تستطيع براءة الانسان ؟!

من طروادة الى حرب الأفيون . من هيروشيما الى ملاعب سانتياغو ، من الهـواء الأصفر الى الكرسي الكهربائي . من الـرق المستفحل الى اختبارات التربـة القسرية . من مصارعات روما القديمة الى مجاعـات الأرض المستشرية ... ماذا يستطيع الشعر أن يفعل ؟!

حروب مدهشة وميتات غير مفهومة ، أكاذيب فاضحة تبدل ألبستها كما تتبدل نصب الأبطال وأسماء الشوارع واتجاهات رصاص الحرب .

عالم مصنوع من المصادفـات والبراكـين والقواعـد العسكرية واتفاقيات نزع الأسلحة !! عالم ممتلىء بالأسماك والقمـح والخـراف وبساتين الفاكهة .. ولكنه قائم على مصادفة !

عالم لم يعد له حجم الأسطورة الغابرة •• ولكنه ما يزال غامضاً •

عالم مبعثر ، يستطيع طفل أن يرتبه على نحو أجمل ، تستطيع امرأة عاقلة اختصار مساحات مقابره وأعداد حروبه •• ويستطيع شحاذ خرف ، لا يعرف جداول الضرب ، أن يوزع ثرواته ويحل مشكلة الجوع بين أبنائه وشعوبه •

عالم تستطيع حكمة ما أن تحوله الى ملكوت فاتن ، وتستطيع قنبلة أن تجعله هباء •

الحكمة عزلاء والقنبلة تتاج العقل !! لا المؤرخون ولا علماء الذرة ، لا الأباطرة ولا مديرو البنوك ، لا أديسون الساحر ولا أنشتاين المرح، لا إقليدس ولا طائرة الكونكورد •• لا أحد ، لا أحد استطاع أن يجعل الحياة عادلة والعالم متوازناً ، لا أحد ••• لا أحد : لهذا يكتب الانسان الشعر •

هل رأيتم إنساناً أعزل ، حزيناً ، مستوحشاً ؟ هل عرفتم العزلة والحزن والوحشة ؟! ذلك الانسان وتلك اللحظة •• هما الشعر •

طهارة الانسان في مواجهة تلوث عالمه ، طموحه الى الحياة في مواجهة موت بحجم الكرة الأرضية ، براءته في مواجهة الجحيم : هكذا يكتشف الانسان الشعر •

الرصاصة « العادلة » التي يدافع بها انسان عن نفسه •• تقتل إنساناً آخر وتصنع حزناً • السجون التي تتحفظ على المجرمين ومروجي الأوراق النقدية الزائفة •• تصنع نساء باكيات وأطفالا جياعاً• المفاصل

التي تسبح أعناق القتلة تصنع أرامل وأيتاماً وبكاء !!•• وإذن ؛ فمن يستطيع أن يحل مشكلة البكاء والحزن وألبسة الحداد ؟

مشكلة الانسان ـ إنساناً •• من يستطيع أن يحلها ؟!

لا أحد . ولا شيء : هذه قضية الشعر

•••••••••••

يتشبث الانسان بحياة يعرف أنها ملأى بالموت . حياة يعرف مقدار رداءتها وجبريتها واعوجاج منطقها ؛ يعرف الى أية درجة تنعدم العدالة والأمل فيها •• ولكنه يتمسك بها . يطمح اليها نظيفة ومبررة وقابلة للعيش •• يطمح اليها محكومة بالعقل •

ـ ولكن العقل يبتكر القنبلة !!

يطمح اليها مسكنة وعادلة وغنية بالحب ••

ـ وأما الحب •• فلا يستطيع أن يكون عادلا !

••• طموح الى المستحيل : ذلك هو الشعر •

ماذا يستطيع الشعر أن يفعل إذن ؟

ماذا يريد أن يفعل ؟

تعالوا نتخيل عالماً عارياً من الزهرة والبلبل وزرقة السماء ؛ عالماً أعزل من الغناء والموسيقى وتنهدات الحب . عالماً سليماً •• سليماً ؛ مستوياً وأجرد . ساكناً وبريئاً من النبض ؛ تعالوا نتخيل فردوساً خاوياً:

هناك لا يكون الشعر •

الزهرة .. ماذا تريد أن تفعل غير أن تتفتح وتُشم ؟

العصفور .. بغير أجنحته وغنائه ، أية بطولة يريد أن يقترف ؟

الموسيقى .. غير أن تكون مسموعة ، ماذا تريد ؟

لا الزهرة ولا العصفور

لا الموسيقى ولا زرقة السماء

لا التنهدة ولا القبلة

لا شيء ، لا شيء أبداً يريد أن يكون شيئاً آخر :

هذه عدالة الشعر

شفتان آخذتان هيئة قبلة موشكة : أليستا عادلتين ؟ .

عصفور يغني على اطار نافذة : أليس عادلا ؟

أغنية تجعل الانسان يسترسل في الحب والنظافة وإرادة الحق ،
كل هذا وكل ذاك .. أليس عادلا ؟!

من يريد استبدال شفة بخنجر ؟ زهرة بقنبلة ؟ أغنية حب بكلمة « نار » ؟

القصيدة .. هذه أسئلتها .

....

أن يربح نفسه ويخسر العالم : هذه مأثرة الشاعر .

يطمح الى حياة يعرف مقدار عبثها ، ويقامر في سبيل هذا الطموح : هكذا يربح نفسه ، هكذا يكون عادلا ويختار الجلجلة . لكنه . حتى وهـو يصرخ :

« يا إلهي .. لو تعبر عني هذه الكأس » .. يكون قـد أدرك أن خلاصه مستحيل وموته موشك .. ويقرر :

« لتكن مشيئتك ، لا مشيئتي »

طموح الى العدالة : هذا ما يجعل الشعر مخيفاً . عدالة لا يفسدها الحب . كـرة أرضية عاريـة من البنادق والأوبئة والأكاذيب وأسباب الحزن ، نشيد كوني واحد ، أطفال لا ينامون جياعـاً ونساء لا يبكين ، منازل غير مهددة بالرصاص ، أكف لا تعرف إلا أن تلوّح وتشد علـى أكف أخرى . بشر يهتفون لعدالة بلا أسلحة .. وسلام بلا جثث :

هذا هو طموح الشعر .

أوليس طموحاً الى الانسان ؟

أو ليس طموحاً الى حياة في متناول اليد ؟

.. ولهذا هو طموح مستحيل .

....

رجال نيرون ذهبوا بعيداً ، ذهبوا بعيداً جداً .. وتبدد دخـان روما المحترقة . هيروشيما وناغازاكي خلعتا حدادهما الذري الفاضح . دمـاء المصارعين نشفت وانقرضت سلالات الأسود الرومانية المعـدة لتسلية الأباطرة . لكن ... لم يتبدل شيء ، لم يتبدل شيء !!

ذاكرة التاريخ متفائلة .. أما الشعر فذاكرته سوداء دائماً ، وعيناه

أيضاً . تستطيع روما أن تستيقظ من رمادها ، ونيرون يستطيع أن يكون منسياً . هيروشيما تستطيع ألا تكون عاتبة .. وأنشتاين مصاباً بالندم الشديد !!

وأما الشعر .. أما الشعر . ذلك الطموح الفاجع ذو الذاكرة السوداء والعينين المنعمتين بالدخان والحرائق ونحيب النسوة ومعسكرات الاعتقال .. فيستطيع أن يعيد النظر في ذاكرة روما المتسامحة ؛ يستطيع أن ينظر بعينين شديدتي السواد الى ماض يتكرر ويزداد قتامة .. تتبدل أسماؤه وعصوره وحلبات « عدالته » ويريد أن يكون اسمه : المستقبل !!

تذهب روما وتجيء روما جديدة ؛ تذهب الحلبات وعربات القتل والشباك وعنابر الأسود الجائعة .. وتجيء ملاعب ساتنياغو لتكمل الصورة وتزيد عليها !!

هكذا يتسامح التاريخ ويزوّر صورة مستقبله . أما الشعر فله أن ينظر الى ذلك المستقبل بعينين معصومتين عن التفاؤل . للشعر أن يرى روما ذاهبة لاحتلال المستقبل .. وله أن يكون عادلا .

وللعالم . أيضاً : أن يحتفل بمستقبله الناصع ويحرق البخور من أجل أن يكون ذلك المستقبل سليماً ومعافى ، عاقلا ولا آثام لديه ، بريئاً من الحرائق والدخان والفجائع : بريئاً من الشعر .

وليذهب العالم الى مستقبله ذاك: سيكون الشعر بانتظاره أيضاً .

.. ولا بأس . ستكون روما قد حملت معها الى المستقبل دخانها وخوذات قتلاها : أبطالها ومفاصلها . كبرياءها الزائفة ودروع رجالها ..

ويكون الشعر قد حمل معه الموسيقى والزهرة ، الأغنية ونداء العصفور، زرقة السماء وتنهدة العاشق .

روما ذاهبة لتتبدد .. والقصيدة ذاهبة لتبكي .

ودائماً .. من أجل حياة عادلة . ودائماً من أجل روما جديدة غير قابلة للاحتراق . ودائماً .. من أجل مستحيل !!

ما أفظع طموح العالم
ما أحزن طموح الشعر .

وحتى لا تكون روما نادمة ستحمل معها شعراءها ومهرجيها وحاشية أباطرتها . وبهذا تكون روما قد أخطأت مرتين :

أولا لأنها لم ترد أن تكون لطيفة فتذهب مبكرة الى النوم .

وثانياً لأنها ما تزال تعتقد أن الشعراء يؤخذون ضمن عتاد الحملة ومؤونة الرجال والجواري وبغال الجر !!

الشعر لا يريد أن يبكي في ركاب أحد . لا يريد أن يتحول الى عباءة تدفىء جذع أحد .. حتى ولا الى تاج على رأس أحد :

لحسابه الخاص يبكي الشعر . من أجل عالم خاص . طاهر ومستحيل . وله ذاكرته السوداء ومزاجه الكالح .. وله صليبه وقيامته .

....

الدروب جميعاً ذاهبة الى روما .. وروما ذاهبة الى النار .

ولروما ، في كل الطرق : حرائقها ودخانها ومستقبلها الزائف . لروما ندمها وذاكرتها المتسامحة .

وللشعر أن يظل مخيفاً . وللشعر أن يظل خائفاً . ولـه أن يرى ماضي روما في حلة جديدة بيضاء يسمونها مستقبل العالم . وله ، بين هذه الطعنة وتلك ؛ بين هذا الصليب وتلك القيامة ، ألا يسلك الطريق الى أية عاصمة ...

للشعر أن يذهب الى الحياة .

دمشق ــ ١٩٧٧



كلمة : حب

جعبة للزاد ، وجعبة للرصاص ..

يد للعطاء ، ويد للأخـذ ..

ثقوب للأعشاش ، وأوكار للثعابين .

قلب واحد .. لا يحيا ولا يموت

يد واحدة .. لا تعطي ولا تأخذ .

قبضات كثيرة .. تصنع العشب

أبواب كثيرة .. تصنع السماء

أوجاع كثيرة •• تصنع الانسان

وقلوب كثيرة ••

تصنع

كلمة : حب

١٩٧٦



رؤيا في القرنفل والموت الصباحي

خذيه ما بين يديكِ الآن : مثل زهرة ميّتةٍ

تركض ما بين رمادٍ وحريقٍ

ثم تقضي ليلها الأخير في حديقة الجاحظِ ،

يحتلُ عليها ورقُ الفولاذِ ، والندى الخبيثُ .

مرةً أخرى هو الآن حزين"

ضالع" في حكمة الطيرِ

يقول الفرحَ العادي والزهرَ ...

ويمضي باتجاه الشجر اليابسِ !

....

للشارع أن يمضي الى آخرهِ .

للشجر العابق بالريح سجاياه البدائية جـداً .

لمياه النهر أن تحتفل بالاوراق

والقشِ الخريفيّ

وما يفسد في آنية الطعامِ .

لي فم" صعب" يفيض طرباً منحرف الصحةِ ..

لي أصابع" ترشح بالنرجس والماوردِ

والقرنفل الذابل فوق خشب النعشِ ...

تقدمتُ الى النار سريعاً . واحترقتُ مرتينِ ..

ـ نلتقي ؟...

قلت لها : يكفي ..

تقدمتُ الى النار سريعاً واحترقتُ مرتين

ــ نلتقي ؟

● ها أنتِ تضحكين في نهاية الأمر !...

عليَّ الآن أن أذهب للنوم وحيداً ...

نلتقي .

.. ..

.. ..

لعل هذا اليوم لا يكون قاسياً كأمسِ :

أنتِ شجرٌ ينهض في قلبي على امتداااادِ جثـةٍ كاملةٍ .

لعل هذا الطائر اللاجيء في شجيرة المشمشِ يرتاح قليلا :

أنت عندي الأخضر الناصعُ

والقرنفل الأبيضُ لا يمضي الى نعشٍ

ــ أنا خائفةٌ منكَ . لنذهبْ من هنا ...

قلتُ : لنذهب من هنا .

.. ..

ثم هبطنا جهةَ النهرِ وحيدينِ

تصامتنا .

اغتسلنا .. وغفونا ساعة .

أيقظَنا صوتُ رصاصٍ !! ...

(كانت الجثةُ تنهالُ الى الماءِ

معرّاةً من الأسودِ والقرنفلِ المانع للموتِ ..)

● الرصاصُ ابتعدَ الآن .. هلمي .

ـ ما الذي يمكن أن نفعله الآن ؟!.. هلمَّ

اجتمعتْ قبائل الماء على الجثةِ ..

أسراب من القرشِ الكريهِ تحتفي بالجسد اليانعِ

إذ يهوي عميقاً

فيلقٌ من سمكٍ متوجٍ يهرعُ مفتوناً ..

كلابُ المـاءِ لا تنقصها الفرحةُ !.

ـ من أين أتانا الصوتُ ؟

● من ناحية المُشرقِ ،

من ناحية المغربِ ،

من صوتِ غرابٍ آخذٍ هيئةَ حسونٍ يحبُ اللهَ ،

من سبائك الزهرِ الخلاسي على شجيرة المُشمشِ ..

من هنا .. حيث ينامُ العقربُ الوديعُ

أو .. لعلَّ ما بيننا

لعلَّ .. .من أولِ خيطٍ أسودٍ في ثوبكِ القصديرِ

ـ أو في ثوبكَ الصخرِ

● لعلَّ .. كان رابضاً في دمنا !

وداعـاً .

●

يمشي الى مقتلهِ العشبُ حزيناً راكدَ الصوتِ ..

على مقربةٍ منكِ يفوح النرجس الثاكلُ والقرنفل الأكيدُ !!

يختلسُ الماءُ إليكِ أولَ الكلامِ ،

يستدرجكُ الليلُ الى غرفتهِ

موزعاً بين رصاصٍ ودمٍ

وخشبٍ يمضي الى نعشٍ وسيعٍ ..

ثم تأتي ساعةُ الذبح المجيدِ :

● حاذري أن يدخل الخوف الى قلبكِ ..

للقرنفل الغض سجايا صعبة"

ـ أدركني اليأسُ !!...

● ..... وداعـاً .

●

فتح الحارسُ بابين صغيرين وقال : اقتربا .

تقدمت كاهنةُ المذبحِ في ثوبٍ من القصديرِ

والزهرِ الخلاسيِّ

وأنواعِ الحلازين الموشّاةِ بماء الذهب الخالصِ

والنيلوفر المذبوحِ ...

أعطتني كتاباً عن ملوكٍ يصنعون آخر الأمرِ ،

وأعطتكِ « على هيئةِ عصفورٍ » .. تقدمتِ به نحوي

فطـــارَ !!

أيقن الحارس أن الوقت لم يعد مبكراً .

قلتُ :

صديقي .. ليكن شيءٌ من الغناءِ ،

في قلبي فراغٌ أسودٌ

وفي فمي خلٌّ مريرٌ ..

تحت كل شعرةٍ بيضاء في رأسي ينام ولدٌ ميتٌ

وأفعى تقتل الوقت بترقيع ثياب زوجها ...

وتأكل البذرَ !..

صديقي .. ليكن ماءٌ نظيفٌ ،

لتكن أغنيةٌ أخرى عن الزهرِ ..

ولا شيء سوى ذلك .

قال الحارسُ الطيبُ :

إني مولعٌ بصوت فيروزَ ،

وتقليمِ النباتاتِ

وصيدِ السمك النهريّ

والحكمةِ ...

هل تطلبُ شيئاً آخرَ ؟!

(انشقّ على الفور حجابٌ

وتبيّنتُ سريعاً ما أنا فيه من الموتِ الصباحيّ ..)

تلفت الى ناحية المشرقِ :

من عشرين عاماً لم أر الشمس على هذا الجمال الصعبِ ..

لم أسمع غناءً قاتلاً ..

لم أعتقد أن لمـاء النهر هذي السطوة العظمى .

تيقّنتُ من الدنيا

وصليتُ لربي صادقاً ألاّ تغيبَ الشمسُ ،

لا يعكر الماءَ البدائيَ دمٌ حيٌّ

ويبقى شجرُ المشمش مكتظاً بأصناف العصافيرِ .

... ولكني تيقنتُ من الخوفِ

ومتّ جيداً .

.. ..

شيئان لا يحتمل العاشقُ أن يراهما :

المساءُ حين لا يكون خالصَ النيةِ ،

والنومُ وحيـداً .

.. ..

وعلى شجيرةِ المشمش ، خلفَ الحائط الغربيِّ ،

كان الطائر الساقطُ في الأسرِ يغني .

وعلى مقربةٍ ..

يندفع النهرُ البدائي وحيداً

حافلاً بالزهر الميّتِ

والقش الخريفيِّ

وما يبرد في آنية الطعامِ ...

(للأفعى لسانٌ ذربٌ

ولغةٌ طافحة بالسكر الأسودِ)

● هل أنتِ معي الآن ؟

ـ لنذهبْ .. إنني خائفة منكَ

● لنذهبْ

وتشاغلنا بتبديد وريقاتِ السياجِ

انكسرتْ عنقودةٌ من زهرٍ أصفرَ

كانت قبل لحظتين تكتب الشعر

وتستعرض ما فات وما يبقى

•• •• •• ••

(تراءى لهما أن ملاكاً يهبطُ الآنَ على ظهر جوادٍ فاحمٍ ••

كأنه قال : « مساء الخيرِ » !!

لم يحركا فماً •

ظلا يسيران وحيدين الى ناحيةِ النهرِ •

تصامتا •

ناما قليلاً •

سمعا صوت رصاصٍ قادمٍ من جهة القلبِ ••

فناما أبــداً ...)

●

خذيه ما بين يديكِ الآنَ مثل زهرةٍ ميتةٍ :

شيئان لا يحتمل الطائر . إذ يسقط في الأسر جريحاً ،

أن يراهما ..

الفضاءُ : حين لا يكون خالص الزرقةِ ،

والموتُ صباحاً .

دمشق ــ نيسان ١٩٧٦



أنستاسيا تضحك .. وتعد سريراً لاثنين

« الى وريني الياس : عمر وكنان »

يستحيل ! ..

كأني سمعت نهاتك ، ما بعد منتصف الليل ؛

كنت الى جانبي تنعسين ..

وأحنو على شبه نهدين من ورق وزجاج .

تجمعت منكسراً .. وتفرقت .

كنت مصاباً بحزن شديد

وكنت الى جانبي تنعسين !

أميلُ الى حجرٍ باردٍ ..

وتميلينَ ناحيةَ النارِ !

أحنو على شبه نهدين من ورق وزجاجٍ ..

ويحنو عليَّ سواد" !

سمعتُ لهاثَ سنونوةٍ يتداخل في مطر وأنينٍ بعيدٍ

سمعتُ تنفُّسَ أول نرجسةٍ تتفتح في الليلِ

كدتُ أشم طراوة جسم الحلازين في باطن الأرضِ

وهي تعاشر أصحابها ..

كدتُ ألمس نبض النباتِ الجريء يجاهر بالحُسْنِ ساقيةَ الماءِ

قلتُ لأول حبةِ شمسٍ ترامت على شجر الوردِ :

يوماً سعيداً .

تباركتِ اللحظاتُ الأنيسةُ .

ها أنذا أترامى الى آخر الدهرِ ...

لا حدَّ لي .

●

مثل آنيةِ الورد قلبي :

نديٌّ ومنكسرٌ ،

كطريق الى جبلٍ :

صعبةٌ وتفيض برائحة العشبِ ،

مندفع كغزالٍ ؛

أليفٌ كأغنيةٍ ،

راكدٌ كالرمادِ ،

غزيرٌ كما يثب النبعُ .

مندفعٌ ..

راكدٌ ونديٌّ ..

أليفٌ ومنكسرٌ

هكذا الآنَ قلبي .

●

تباعدتِ القبراتُ !.

الى طرفيْ غابةٍ يركضُ الولدانِ الخفيفانِ

شيءٌ من الحزن في قلب هـذا

وشيءٌ من النار في قلب ذاكَ ..

وينفلتان الى طرفي غابةٍ

مترعينِ بحزن شديد ، ومنكسرينِ ..

تفرُّ جموعٌ من الطير والأقحوانِ المسربل بالشمسِ ،

يدفع فرخُ غزالٍ رفيقته .. ويختبآن ملتجئين الى النارِ !..

من يؤنس الغابةَ الآنَ ؟!

من يدهُ تتشاكى على شبه نهدين من كرز الربِّ ؟!

من يُلجىءُ الأقحوان المشعَّثَ ؟!

: فرخان محتشمان استدارا الى جهة اليأسِ

لمّا ثيابَهما الداخليةَ مرتجفينِ .. وطارا !!

«العصافيرُ تجهلُ أوقات مولدهـا ،

«الأقحوانُ الجريح يعاني من النار والوجع المتفاقمِ ،

عبّادة الشمسِ نائمة» ..؛

وانستاسيا تتأرجح بين اغتراباتها الدمويةِ

حافيةَ القدمينِ .

مجللةً بسواد عجيبٍ وعينين منعستين دماً .

تسلى بقضم أظافرها .. وتقلّد صوت القنابلِ .

ترسم غابة لوزٍ وصفين من شجر السروِ .

توعز لاثنين من أجمل الطير أن يدخلا ...

وتغردُ ..

تحشو جواربها بالرماد وريش العصافيرِ

تمنحها أعيناً وشواربَ سوداءَ ..

ثم تهدهدها بحنانٍ ودمعٍ شديدينِ !

لكنها تتأرجح بين اغتراباتها الدموية مخضلة القلب :

من يؤنس الغابةَ الآن ؟

من يستضيف الطيور الرخيصة والزغب الكستنائيَّ ؟

من يدهُ تتشاكى على شبه نهدين من كرزٍ ؟

من يهدهد فرخي غزالٍ أثيرينِ

ينخطفان الى الموتِ محترقين على طرفي غابةٍ ؟!

... ...

من يُعدّ سرير أنستاسيا ؟

من يلم فتات أصابعها ؟!

●

وأنستاسْيا جالسةٌ تحت قناديل العصرِ

تعيد كتابة أمثولتهـا ••

تستذكر ما قالته معلمةُ الصف عن القنبلة الذريةِ ،

والانسانِ الآليِّ ،

وأسماكِ القرش المولعةِ بلحم الأطفال وموسيقى تشايكوفسكي !

تتساءل ان كان النازيون يحبون الموسيقى

والأطفالَ

وزهرَ الرمانِ •••

تحدّق في صورة رجلٍ أهلكه سرطان الثلثِ

وتكتب في دفترهـا المسودةِ :

« ــ مدنٌ أهلكها الزلزالُ

ــ ضحايا الحرب الأولى

ــ النازيونَ

ــ النقرسُ

ـ كاليغولا

ـ كومونة باريسَ

ـ تشي جيفارا

ـ بيروتُ

ـ السل الإفريقيّ

ـ صراع الطبقاتِ

ـ الحربُ

ـ مجاعــاتُ عموم الهندِ

ـ الحربُ

ـ التنقيبُ عن الذهب الأسودِ

والذهب الأحمرِ ..

والحربُ ! ... »

تفكُ جدائلها السوداء وتكتبُ :

« ماما •• إني جائعة » ،

أثوابي اتسخت جداً

وغزالاي انتهيا ،

لينا ماتت تحت القصفِ

وساشا الأعرجُ ساقوه الى الجبهةِ

في التاسع من نيسان الماضي •

لا بأسَ ••• ولكني أبكي أحياناً »

قلتُ : أنستاسْيا •• لا تبكي

وتنهدتُ على مهــــلٍ :

آ ز ••ني •• ستا••سيا •• لا تبكي

فأنا أتمزقُ

حاشيةً من نار تحكم أطرافي

لا تبكي آني ستاسيا

هاأنذي أمكِ قادمة من بعثرة الحزنِ

معبأة سلاً وحليباً

ترشح من جسدي الحمى السوداءُ وأنواع الأنتيبيوتيك

أعاني من بعض الليلِ

وبعض الموتِ

وبعض ركامات الحب الخارج عن صورتهِ !

آنيستاسيا ... اقتربي مني

آنيستاسيا ... ابتسمي الآن قليلاً

آنيستاسيا ..

ابتعدي .

●

... وآنستاسيا نائمةٌ

تحلم بسواقٍ شاردةٍ

تأكل رماناً وتبعثر أعواد الكبريتِ

تكلم عصفوراً من خرزٍ

تفترش حدائقَ من ذهب وحريرٍ

تومىء لغزالٍ أبيضَ أن يتقدم منهـا

وتقول : « صباح الخير » لصاحبها الكلب من الفانيلا السوداءِ

المحشوةِ بالرزِ :

« تعال وقبلني •• »

تركض حافيةً صوب الأحراش الصعبةِ

تحتطب وقوداً : وجذوعَ رجالٍ شريرين يخيفون الطيرَ

وينتهرون الزهر الغافي

آنيستاسيا نائمة"

لا تعرف آلام الرأس ونوباتِ الحمّى السوداء وأنواع

الأنتيبيوتيك ••

هي الآن ، على مهلٍ ، تحلم بزمان من ورقٍ أخضرَ

تعدو وتبعثرهُ

تكتبُ أزهاراً حمراءَ •• وصفراءَ •• وبيضاءَ

وترسم آخر وجهٍ ينكفىء على كرسيِّ الصف الأولِ •

آنيستاسْيا ابتعدتْ ،

دخلتْ في الغيم الصالح كاملةَ الرقةِ

تأكل أزهار النرجس •• وتبعثر غرّتها •

••• ••• •••

: آنيستاسْيا ليست من هذا الوقتْ •

●

وأنستاسِيا لا تردّ !!

لأنستاسِيا شَبَهُ الأقحوان وصمت الذبيحةْ

ولديها عن الموتِ أغنيةٌ

وسواسٌ سودٌ

وشاهدتان لفرخي غزالٍ أثيرين ينكفئان على طرفي غابةٍ

وأنستاسِيا امرأةٌ من أقاصي الكآبة والثلجِ ..

موبوءةٌ بالدمـــارْ ..

ولها شجنٌ غجري وعينان واسعتان الى آخر البحرِ

مفعمتان دمــاً ورماداً

وأنستاسِيا لا تردّْ !!

وأنستاسِيا شجرٌ شاحب ودمٌ لا يُعدّْ ..

وأنستاسيا ...

لا أحــدْ .

●

كان لها قلبٌ لا حــدّ لهُ

كان لها آنية من زهرٍ .. فانكسرتْ

ورفيقٌ لا يتركها الا في النادر .. أكلته الحربْ

كان لهـا كلب وغزالان أثيرانِ

وعلبةٌ ألوانٍ طافحةٌ بالزهر وأشجار السروِ

وأصناف الطير البريّ

كان لها جسدٌ ... وتبدّدْ

ضاعتْ وظفرتُ بها في الحلمِ :

أنستاسْيا ما عادت تبكي في الليلِ

هي الآن تعيد كتابة أطروحتها عن عصر النهضةِ

وسقوطِ الباستيلِ

وآخرِ أيام الحلف الأطلنطي ..

تتنزه حول بساتين الورد برفقة صاحبها ..

ترقص في الساحات العامـةِ

تومىء للأطفـالِ

تداعب باعة أزهار النرجسِ

تسأل عن آخر أعمال « دفورجاك »

تقابل بشراً أحياء •• وتضحكُ

تبعث برسائلها الزرقاء الى مدن لا تعرفها ••

تطرق باب المنزل :

« ماما •• اني جائعة"

هل أعددتِ لنا شيئاً ؟! »

وتفك جدائلها السوداءَ

وتضحكُ

تضحكُ

تضحكُ مقفلةَ العينين

تتسلل حافيةً القدمين الى غرفتها

وتعدّ سريراً لاثنين •

أيار ١٩٧٦ ــ دمشق



.. واسمحي لي إذن بقليلٍ ..

ــ يجيئكَ من مطلع الوطن الموتُ

ــ لا ...

إسمحي لي إذن بالحديث عن الزهرِ

ــ يأتيك من يقتل الشرفات على الزهرِ

ــ لا ..

إسمحي لي إذن بقليل من المــاء والقهوة الساخنة"

واتركي لي صليبي

أحصّنْ به جسدي قبل أن تعلن اللحظة الماجنة"

إنني عاشق وحزين"

(سأعترف الآن ..)

لا تغلقي البابَ ، يحسن أن تدخل الشمس منزلنا

وتجيء الطيور لتَطعم من قمحنا ثم تمضي

يحسن الآن أن تتغنّى ...

ولكنني عاشق وحزين"

ــ إذن .. كيف تبدأ ؟!

ــ إني أحاول أن أستدير الى مصدر الحزنِ

أحصي ، على عجلٍ ، جسدي .. وأميِّز أشلاءهُ :

كان « واضحُ » يسكن ، مستغرقاً ، في نشيدي

ثم .. ها هوذا الآن يسبح ، مكتئباً ، في دمائي

كانت الشرفات الوديعة تصحو مجللة بالزنابق والغيثِ

لكنها اليوم تخلع أزهارها الواجمات وتأوي الى النارِ !

كانت حفافي البساتين تلتمّ مذعورةً

والمساكن تهبطُ ..

« فهدُ » الفقير يسد عباءته في العراء ويبكي

« حسيبُ » المقاول يحصي غلايينهُ

الأمهات يعاتبن خالقهن ويبكين

والشهداء يمدون أذرعهم صوب مائدة الفصح مكتئبينَ ...

.... وصوتُ العصافير ...

ـ لا ..

ـ إفتحي الباب كي تدخل الشمس

من زمن وأنا قانطٌ

أتبدد ما بين حزني وخوفي عليكِ

أبذّر جسمي على ورق اليانصيب وأبكي !!

على الوطن الآن ان يتسلى جرائنه في دمي أو نشيجي

على الوطن الطيب الآن أن يتحقق من جسدي

(إنه جسدي •• وأنا قانط يابلادي)

إفتحي الباب

لا تدخلي إخوتي فأنا أنشج الآنَ :

يا أيها القتله°

إنني أبدأ الآن مرثيتي فاسمعوني

لقد جعتُ ،

هاجني في عتابي الى الله جيش"

دُفعت الى ميتة صعبة وقُتلت مراراً

ولكنني لم أذق وطني

كنت أشتاقه في غنائي

ولكنني كنت أخشاه اذ يتمايز

ما بين صحن الحساء الفقير وخابية المـاءِ

ما بين أعيانه وصليبي

ـ تقبل الآن شمس"

ـ دعوني إذن أتدفأ"

حزين أنا •• أيها الوطن الصعب ، مستوحش وحزين"

أردّ الى أصله جسدي

فارى أمسـاً لا تُعدّ

تقوم معي كي تُرد الى أصلهـا

أستعيد نشيجي

فتشرق في وجعي أمم وتبوح بأوجاعها

أستدير •• فتمشي على جثتي البشرية جمعاء

أبكي ••• فيبكي معي الله !

ـ تتسع الشمسُ

ـ من ههنا أبدأ الآنَ :

يا أيها القتلةْ

جاءكم أمس من يطلب الخبزَ

أعطيتموه منيّتهُ

وضننتم عليه بأكفانهِ

جاءكم « واضحُ » القروي الحزينُ

يقايضكم بشعيرٍ على دمهِ

ثم جاء « حسيبُ » المقاولُ

فانهمر الوطن الصعب من حولهِ

وتدلت الى رأسه سلة الربِّ !!...

قال له الرب : خـذْ

ثم قال له الرب : كلْ

ثم ... قال له الرب : تنسى !

ولكنني شاهد وأذكّرُ :

ها هي ذي الأمم ــ الجثثُ

الأغنيات ــ الدمــاءُ

الحروب ــ المجاعاتُ ...

فاستنطقوهــا

ها نساءٌ بكينَ

وها وطن لم يسع أهله قبل أن يقع الموتُ

فاستنطقوهُ ..

ثم هــا أنذا

يتمايز لي وجهه في الحساء اللذيذِ

ولكنني قانطٌ

وبريءٌ ...

وبددني وطني .

●

ـ تجيئك من مطلع الوطن الشمسُ .

ـ لكن جسمي بديد"

ولم يبق لي مـا أغنّيهِ

لم يبق في جسدي ما يغني .

لماذا يبددنا هكذا الحزنُ ؟!

أية صفصافة سكنتنا معاً يابلادي !

وفي أيّنا كل هذي الخلائق تبكي ..

دمي أم ترابكِ ؟

قلبي أم الوطن المستحيلِ ؟!

تعبتُ .. .على مهلٍ

غير أن العصافير ما فتئت تستدير إليَّ

مسربلة بالأناشيد والشمسِ

ثم تغيّبها الريح والسحب الداكنة°

تقتفي أثر المـاء والحبِّ مدفوعة بالأناشيدِ

ثم يعاودها الخوفُ ••

لكنها ما تزال تغيب وتظهرُ

ثم تغيب وتظهر

ثم تغيبُ ••• ولا •••

ثم تدرك أجسادها الطعنة الماجنة

وحسيب المقاول يحصي غلايينه وبلادي

النسـاء يعاتبن خالقهن •• !!

كفى !

يتمايز من مطلع الوطن الموتُ

متشحاً بالرياحين والقمح والحلل الفاتنة

وأنا قانطٌ

قانطٌ •••

قانط" ...

فاسحي لي إذن بقليل من المـاء والقهرة الساخنة

●

صدقيني .. تعبتُ

تجاورَتِ النار في جسدي والمياهُ

اكتوت تحت جلدي الشعوبُ وبلّلني دمها

صدقيني .. تعبتُ الى آخري .

يا بلادي

أمن أجل هذا تفيسين عرشك في داخلي ؟

وتنامين محفوفة بالنعاس الوديعِ ..

تمدين من جلد قلبي بساطاً وتخطين من فوقهِ !

أي نار تجللني ؟

أي مـاء حزين يحف بأنحاء جسمي ؟

أي مجد مريب تؤوب اليه الطيور الضَليلة مشتاقةً

ثم يدركها الموتُ

من قبل أن يتسائل فيها النشيد الى لحظة الشمسِ !

يا للبلادِ الجميلةِ

كيف استتب لأطيارهــا الموتُ

كيف انسللتُ بقلبي الى دمها واعتمدتُ نشيد الذبيحةِ !!

يا للبلادِ الجميلةِ

تخطو على جلـــد قلبي

محاذرة أن تمسّ بساتينهُ

وتعيق حفيف السنابل فيهِ

تسيل على ورق الزيزفون وتنهاه عن حسنهِ

تتداخل في مـــاء قلبي

وينشرني حسنها المتجددُ !!...

يا للبلاد الحزينة

كم تظهر الآن عاصيةً .. وتعذّبُ

كم يتشابه في أرضها المـاء والدمعُ

كم هي فاتكة ورجيمهْ

يالها .. إذْ تمدّ على دم أطيارها المتوهجِ

سجادها العجمي .. وتخطو !

تحف بسوكبها المترهل حاشية العنكبوتِ

وطائفة الذبحِ

تفتح جسم عصافيرها بالمساميرِ والنارِ

يختلج القمح فيها وتذبل أعناقه .

: إنه الـدمُ

يهبطُ ..

يهبطُ ..

يهبطُ

يغتسل الحجر المتوحش بالـــدمِ

بالـــدمِ

بالـــدمِ

بالـــدم !!!

ياللبلاد الجميلة كم هي فاتكة وتعذّبُ

كم يتشابه في أرضها المـــاء والدمْ

تمتد حمراء •• شاسعةً

تتمددُ حمراء •• شاسعةً

ثم تسقط •• حمراء مشعلة من جميع الجهاتْ

آه •• ياللبلاد الدميمه

كيف تنتشر الآن حمراءَ

حمراءَ

حمراءُ

يختلط الوحل فيها بريش العصافيرِ

يختلط الدم فيها بأذرعة القمحِ

يختلط الصمت فيها بمئذنة اللهِ !!

يا للبلاد المشعةِ

كيف أميزها عن دمي ؟

كيف أخرجها من دمي ؟

كيف أدخلها ؟ ..

وأنا ، بعدُ ، ممتلىءٌ بحرائقها والمساميرِ

ممتلىء برماد العصافيرِ

ممتلىء بخطى قدميها المثابرتين على لحم قلبي ؟!

— اذن لم تكن ما تدفئك الشمسُ

— لم تكن الشمسُ

كنت أدفىء جسمي إذن بحريقي •• ولم تكن الشمسْ

أرجــوكِ

لا تفتحي الباب ما بين قلبي وبين بلادي •

هي الظلمة الآن ••• كم تتبدى لعينيَ مؤنسةً

وآنا لست بردانَ

لكنها لحظة الوله الفاتنة

تتراءى لقلبي وتعبره

وأنا لست مستوحشاً

وأنا لست بردانَ

لكنني عاشق وأذوب انعتاقاً ومغفرةً

فاتركي لي صليبي

أحصنْ به جسدي قبل أن تعلن اللحظة الماجنةْ

واسمحي لي بشيء من المـاءِ ••

والقهوة الساخنةْ •

دمشق أيلول ــ ١٩٧٤



أيها الزمان الضيّق..
أيتها الأرض الواسعة

« مــاذا يفعل الموتى بعشر زنابق ذابلة ،
وخمسة عصافير خرساء !! »

خرائب وأسيجة

مناديل ومحفات :

هــذه محتويات قلبي .

بغال مثقلة ، وأشجار لا ألبسة لديها

أطفال مسنون ، وأزهار متهدلة

ركام من الجماجم والكتب وريش العصافير :

هذه محتويات قلبي •

قنبلـــة •••

جـــدار أسود ، وطريق مسدود

أعراس بعدد الأشهر •• ومآتم بعدد الأيام !

« قبلني لأذبحك •• »

« أعدّ لكَ قلبي : وتعدّ لي مشنقةً ! »

صفارات إنذار ، توابيت

معادن رثة ، وطنين زائف

كتابات شاحبة ، ومجازر معدة للتصدير :

هذه محتويات

قلبي •

أصدقاء ، أكلة لحـــوم

شوارع ونصب تذكارية

أوقات لا حصر لها ٠٠تبتدىء في السادسة وتنتهي فيالثانيةوالنصف

أوقات لا حصر لها ٠٠ تبتدىء في التاسعة وتنتهي غداً أو بعد غده

تبتدىء غداً وتنتهي في الأعوام المقبلة !٠٠

أوقات مديدة فائضة عن حاجة القلب ٠

مساحات شاسعة فائضة عن حاجة القدمين ،

رصاصات وخناجر فائضة عن حاجـة الموتى ٠

عصافير رثة ٠٠ وأقفاص متقنة الصنع ٠

.. F . M.

عشر زنابق ذابلة ، وخمسة عصافير خرساء ٠

قط أسود محشو بالغبار والقش واللوالب المعطلة ٠

قصاصة أظافر ،

بطاقات بريد مهملة ،

مسافرون ، قتلة ، تحيات جديدة صالحة للنشر ٠

توبيخات مسجلة ، « نعتذر عن الموافقة » !

الساعة الأخيرة من اليوم الأخير من الشهر التاسع :

هــذه

محتويات ..

قلبي

إقطاعيون قدماء ... واقطاعيون قيد الاستعمال ،

جبال جرداء ، وقلوب محقونة بالأسيد ..

ولغات محقونة بالأسيد ...

وابتسامات محقونة بالأسيد :

هــذه محتويات قلبي

●

وأمــا أنتم فماذا تفعلون بنا ؟!

أنتم ماذا تفعلون بنا ؟!

أية أحزان مدبرة •• وأية ابتسامات رمادية !!

ونحن ماذا نفعل ؟ ونحن ماذا نمتلك ؟

في حوزتنا فائض كبير من الوقت لإطلاق النار على الفراشات

والسحب والأفكار الطارئة •

فائض كبير من الأرض••للإستحكامات والتوابيت ومقابرالأطفال•

في حوزتنا بكاء شديد ، وأسرار بالغة الخصوصية ،

وأسماء كتب شريرة تتحدث عن الحب •• وتربية الدواجن ••

والأزهار الممنوعة من التداول •

وأما أنتم فماذا تفعلون بنا ••

وأما نحن •• فماذا نمتلك ؟!

أنتم تمتلكون محافظ أنيقة لعقود المبايعات •• وأوامر القتل ••

وشهادات دفن الموتى ،

ونحن نمتلك جيوباً لتدفئة الأصابع وصيانة القصائد المهربة •

أنتم تمتلكون الأرض ..

ونمتلك نحن المصورات والكرات المجسمة .

نمتلك الأحلام الخارقة ، ورقعة التراب الضيقة ..

الكافية لتأكيد ظنون أطفالنا :

« الموتى يتناولون حليبهم ويخلدون الى النوم » ..

وهذا ما نفعله نحن تماماً :

نتناول حصتنا من السياط والأوبئة والغارات الجوية

والوجوه الكالحة والزنزانات ... ثم نخلد الى المقابر .

... ...

... ...

نحن بني الانسان

زماننا أسود وقلوبنا شديدة البياض .

نحن بني الانسان

كرتنا واسعة •• ومنازلنا بالغة الضيق

نحن بني الانسان

بيسر يأخذنا الموت •• وحياتنا باهظة التكاليف :

هذا كل ما لدينا •

●

باب منزلنا على الطريق :

آه •• ما أسهل أن تأتي الخنازير وتختلس عظامي في الليل !

نافذة منزلنا واطئة :

آه •• ما أسهل أن يأتي الحراس ويستمعوا الى خرير دمي في

في الشرايين !

واجهة منزلنا زجاج :

آه •• ما أسهل أن تختلس الغربان النظر وتحصي شهيق روحي !

لبيتنا جدار صغير من الخلف ، وليس له سرداب سري ؛

وليس فيه حجرات كثيرة ، وليس له نافذة على النهر ،
وليس له أبواب خلفية :

آه .. ما أسهل أن يقبل اللصوص ويختطفوا جسمي ..
جسدي ثقيل .. وليس بمقدوري أن أقلد العصافير .

روحي مثقلة .. ولا أستطيع أن أنام هادئاً .
قلبي محتقن بالزمان .. ولا أستطيع أن أنسى .

هم يسلؤون الأرض .. وأنا محكوم بجاذبيتها !!
هم يسلؤون الأرض ...

وأنا لست أثيراً .. وأنا لست شفافاً
آه ما أسهل أن أموت . آه ما أقسى أن أموت :

أيها الانسان المسكين .. لماذا اقتنيت جسدك ؟!

●

ضائع في النهار

ضائع في الليل

منكسر كالزجاجة .. مبدد كالدخان

الزهرة في قلبك .. وخانتك الرصاصة

لا الحب ولا الموسيقى

لا القبلة ولا العصفور

لا السماء ولا الأناشيد

قادرة أن تجعل الحياة أسعد .. والحلم أرق .

بقدمين هشتين وجسد نحيل

بقلب أبيض وأصابع ضعيفة ..

الزمـــان يظل ضيقاً

والحجارة لا تصير طيبة المذاق

....

الأشجـار تعلّم الخريف .

الأطفال يُعلّمون المذبحة .

العصافير تعلم الرصاص ..

والخبز يعلم المجاعـة :

ضائع في الليل

ضائع في النهـار

الزهرة في قلبك

وخانتك الرصاصة

أيهـا

الطفل

الصغير

النائم

في

الزاوية

●

ماذا نفعل بالأوقات ••

ماذا نفعل بالأمكنة ••

اذا كنا لا نستطيع أن نضحك

اذ كنا •• لا نستطيع أن نحب ؟!!

••• ••• •••

لا بيت لنا ولا بستان

لا حائط ولا شجرة ••

لسنا كالفراشات

وأصابعنا ليس لها مخالب •

نخرج من الأرض ولا نقف عليها

أنا وأنت ••

أنا وأنت

نهران يجريان في غيمة

أنا وأنت .. أنا وأنت

لنا ينابيع ، ولا نمتلك المجاري

أنا وأنت .. أنا وأنت

أرنب خائف ، وبطة ذبيحة

•••

ماذا نفعل بالأوقات

ماذا نفعل بالأمكنة

أيها الزمان الضيق

أيتها الأرض الواسعة !!

●

لأنك لست قاتلاً

لأنك لست قديساً ..

أنت لا تستطيع أن تحيا

أنت لا تستطيع أن تموت

●

في البدء صنع الله الانسان :

العنق .. للالتفاتة ،

الفم .. للقبلة ،

القلب .. للخفقان ،

الأظافر للدغدغة ،

الأسنان للابتسامة

الذراعان للضم

والجسد للحب

العينان للزهرة

والورقة

للرسائل

في الخاتمة صنع الله الانسان :

العنق للسكين

القلب للرصاصة

الذراعان للبلطة

الجسد للقنبلة

الأسنان للمطارق

الأظافر للكلابات

العينان للمسامير

والورقة ..

للنار !!

••••••

أيها المدهش الانسان : لماذا اقتنيت جسدك !!

●

لأنك لست قاتلاً

لأنك لست قديساً

أنت لا تستطيع أن تحيا

أنت لا تستطيع أن تموت

الزهرة في قلبك .. وخاتمتك الرصاصة

أيها

الطفل

الكبير

النائم

في

الزاوية

آذار ١٩٧٧ ـ دمشق



أنا هو:
المسيح اليانع الصغير

لا خلاص لي

لا مغفرة لي

جسدي نائم وروحي مستيقظة

في كنيف

وكل خلية فيّ مفعمة بالبرد والطحالب

لا خلاص لي

لا مغفرة لي

وبلادي المحفة الواسعة والمقتل الأكيد

أنا المسيح اليانع الصغير

ربيب الأبواب الموصدة والأوحال الساطعة

أوقظ النشيد في قلب صاحبه

وأرجع الى أمهاتها الجراء الضالة .

أنا المسيح اليانع الصغير

على عرش آتي

وأندثر على عرش :

منازل أبي تنكرني

والسماء ليست مسكناً لي ،

جسدي مخفور بالحراب والخنادق وقوانين الحرب المتقنة

وفي دمي تتناسل التماسيح والأوبئة وأسماك القرش .

لا خلاص لي

لا مغفرة لي

وحناجري ممعنة في الغناء والزلازل والأوقات المزهرة .

....

بهذا الجسد الأجرد الحزين

أتأهب لملاقاتك

بهذه الأطراف المهتزة أفتتح لك عصرك

وبكلمة في أقدسك :

اذا نطقت سلاماً .. فأنا أعنيك

أو نطقت حباً .. فأنا أعنيك

وأما حين أنطق بالموت

فمن جسدي أكون قد تنبأت .

أنت بلادي

وأنت مائدتي

وأنا المسيح اليانع

ذو الكلمة البارة

والجسد الذي ليس فيه شر ،

فاذا كان للعصافير كل هذه الكتب من الأغاني ..

اذا كان للزهر كل هذه المحاسن الناطقة

وللينابيع الفتيّة الباكرة

كل هذه البلاد لتسافر فيها

فلماذا تتكتم المخلوقات على سعادتها ؟

لماذا لا يكون العشاء واحداً ..

والأرض واحـدة ؟..

ولماذا يتحتم ، دائمـاً ،

أن يكون في غرفة النوم الصغيرة الباسلة

كل هذه المقادير من الأسلحة والخنادق وبطاقات التعزية ؟!

في الحديقة الناهضة المؤهلة للزهر

كل هذه المصانع للحروب والأوبئة ومؤسسات الأيتام ؟!

« لي إلهي

وخلاصي أعرفه

أما جسدي فليس لي

وأنا يانع •• وصغير •• وفي طريقي الى القتل • »

•••••••••

بين سياجين عريقين

من الخناجر السليطة وخنازير البر

سأتأهب للافاقات •

أتأهب للموت بعينين مؤهلتين

وقلب مشتعل

وبكامل جسدي وحناجري

أتأهب للرماد المحقق ••

تندفع صوبي أسراب من الطير الأنيسة .

تتزاحم ما بين قدميّ

أسراب من الزهر الفاحش والجواهر المؤقتة

تحتشد من حولي كتائب من القطط الهزيلة البارة

ترتجف جميعها وتصرخ :

« كيف عبرت إذن ؟..

إن كانت لك هذه الطائفة من الأنساب البرية

والأصول المتوحشة

فكيف تقابل وجـه إلهك ؟.. »

لكنني أتأهب .

ما بين سياجين عريقين من الرصاص والخنازير ،

أتسلل رويداً رويداً

بعينين مفتوحتين

وقلب من الزهر الوثني

وسأذكر أنني تقدمت

فتحت قلبي على وسعه وتقدمت

قست المسافة ما بين جسي وشاهدة المُوت

قدرت أني سأبلغها قبل منتصف اليأس

أحصيت أمتعتي وتقدمت ••

خطوتان وأبلغ الحافة

•• أتأهب لفتح مظلتي وأندفع

جسدي نائم •• نائم ••

وروحي مسعنة في الاستيقاظ

جسدي نائم •• نائم

وحاشيتي الطير والينابيع والفراشات النابغة

أما روحي فلا حدود لهـا •

قلت لحاشيتي : انني جائع

وقالت الحاشية لي ما يعني أن الوقت قد فات .

ورويداً رويداً تقدمت ،

كمسيح صغير يائع

مددت شريعتي .. ونزلت بجسدي الى المـاء

ثم صرخت : إلهي إلهي .. لماذا تركتني ؟

بعدئذ طلبت من الحاشية

أن تأتيني بصليب من القصب وأغصان الزهر

صعدت بجسدي اليه وتسمرت .

صعدت بروحي اليه وتسمرت .

صرخت الحاشية :

عاش الملك

عاش الملك

وحين سقطت أول نجمة

انبثق من روحي صراخ قاطع :

وداعاً ..

وداعاً يا « غولساري »

دمشق ــ ١٩٧٥



خمسون عصفورة .. قلبي

بهـدوءٍ شديد

دخلتُ الى قلبكِ وهززته

بهـدوء شديد

دخلت الى قلبك وغمرته بالموسيقى

بهدوء شديد .. دخلتُ الى قلبك

صنعتُ زلازلي وبراكيني ، وأضرمت فيه النار

ثم .. لم أخرج الى الهواء مرة ثانية

كان فمي مقفلاً .. وقبلتك !

كانت ذراعاي معقودتين

واستطعت أن أضمك !

ولآلاف المرات .. سمعتُ صوتي وأنا أقول لك :

« أيتها المرأة

أيتها المرأة .. أنا أحبك »

ولكن لساني لم يكن يتحرك !

....

يا أيتها الفراشة

يا أيتها الموسيقى

يا أيتها المرأة ، العصفور ، الغناء ، الشجن ،
الزوبعة ، العشب ، الراعي ، القبرة الصموت ،
النار ، الانسان الطازج ...
يا أيتها .. التي ... حبيبته :

مقفل فمي

وذراعاي معقودتان

ولساني لا يتحرك

وأنا ... أحبك

خمسون عصفورةً قلبي :

أنا غابة وأنتِ تغردين فيَّ .

في رئتي مئات الأسماك الخلوقة

حمراء ، وفضية ، وبلون الذهب الساطع

هادئة وحزينة .. وتعرف الحكمة :

أنا بُحيرة . وأنت الفرخ الذي لا يفترس .

لا حصر لها الأغنيات النائمة تحت لساني

وأنت الكلمة التي تجعل الأغنية مفعمة بالبكاء :

... خمسون عصفورة

وبحيرة ..

وجالية من الأغاني ...

: « نحن »

....

دخلتُ الى بيتي وأغلقتُ بابي ؛

دخلت الى بيتي وأضأت النور ،

دخلت الى بيتي وجلست ،

دخلت الى بيتي وكنتُ صامتاً ..

دخلت الى نفسي وصرخت :

أيتها المرأة

أيتها المرأة .. أنا أحبكِ .

....

البندقية التي قتلت حارس الغابة

أعرفها .. لأنني كنت حاضراً .

الرجل الذي مات في شوارع باريس

كنت أعرف أنه سيموت ..

لأنه كان صادقاً وحياً ويحب الشمس .

الأخ الأكبر ، كيروساوا ،

الفتاة التي ستطلق النار على نفسها ذات يوم

كل ذلك أعرفه جيداً

لأنني أعشق الحياة

وأحبك على هذا النحو الباهر .

....

هذا الصباح سأخرج الى البساتين وأرقب مطلع الشمس

سأغسل وجهي ويدي وقلبي بمياه الساقية

الأعشاب الجليلة ستهلل لي

وستفرح بزيارتي المياه النقية البدن

والحصى النظيف الأملس المتأجج في قاع المجرى .

سآكل خبزاً ورشاداً

وأنتظر أن ينبئني صوت السنابل المتكسرة بقدومك

ثم أعود الى منزلي

متبوعاً بتظاهرة من الغزالات والعصافير وأزهار السيكلامان •

أدخل •• وتدخل العصافير خلفي •

الغزالات يرقدن أمام الباب

حاكّات أنوفهن بأظلافهن الكريستالية •

وترقص العصافير ••

تشاكسني وتصصّع على الكتب

أنام •• والعصافير تغني

أستيقظ • •والعصافير تغني . وتعرف أنني أحبها •

هـــذا الصباح يقول :

أيتها المرأة

أيتها المرأة

هذا الرجل يحبك •

•••••••

الظلام الساطع الذي في قلبي

ماذا أستطيع أن أسميه ؟

الطائر المبتل الذي ينقر أمام النافذة

كيف لي أن أطعمه ؟

جرس الهاتف الذي يرن •• من يرد عليه ؟

الأبواب التي تقرع •• من يقوم ليفتحها ؟

والقبرة التي فقدت عريسها

كيف لي أن أواسيها ؟!

••• واذا لم تكوني أنت

فمن تراني أنتظر !!

•••••••

بحثتُ عنكِ في الكتب •• فما عثرت عليك

بحثت عنك في الأغاني •• فما عثرت عليك

بحثت عنك في قلب حبة الفستق

فما عثرت عليك

بحثت عنك في علبة الكبريت

حيث تقيم الأشجار المذبوحة وهواة الحرائق

فما عثرت عليك ا..

بحثت عنك في قلبي

فرأيتك جالسة" هكذا ...

●

حين تتحدثين اليه

أنظري في عيني"

حين تصافحينه

شدي على أصابعي

وأما حين يضمك

فلا تقولي لي :

لقد آلمتني كثيراً .

١٩٧٥



يلزم للعاشق

يلزم للعاشق ألف ذراع ليضم المرأة التي يحب

يلزم العاشق ألف فم ليقبل المرأة التي يحب

يلزم العاشق قلب واحد ..

لينام فيه

١٩٧٥





موعد

أوعزوا لشارات الطرق أن تظل دائماً خضراء .

أوعزوا للأرصفة ألا تكون غاصــة بالأقــدام .

أوعزوا للأمطار أن تكون أكثر حناناً

أوعزوا للقنابل ..

والبراكين ..

والأسلاك الشائكة ...

: حبيبتي تنتظر

وأنا راكض اليهــا .

١٩٧٥

... وأنا

بالتأكيد .. بالتأكيد

سأعلم روحي أن تكون أشد صلابة

سأعلم جسدي أن يكون أكثر قوة

رجليّ أن تكونا أقدر على احتمال الهجرات البعيدة

وعينيّ أن تريا الى أبعد ما يمكن ...

وأما حين أكون حزيناً

فسأذهب الى خلف ذلك الجدار وأختبىء

ولن أقول لأحد قط :

إنني حزين أيها الصاحب

١٩٧٦



القلب

شيء شبيه بحبة الكرز

عثرت عليه عند المنعطف •

شيء شبيه بحبة الكرز

حين أطبقت عليه •• تسرب النبض من أصابعي •

شيء شبيه بحبة الكرز

أحمر وصغير ويلتمع في الشمس
ولكنه لم يكن كرزاً !!

شيء شبيه بحبة الكرز

حين وضعته في فمي

داخلتني نعوم حشائش برية ،

وبذار قمح ، وفتات خبز منقوع ،

وبيوض رمادية صغيرة فات أوان تفقيسها .

شيء شبيه بحبة الكرز

حين عضضت عليه بأسناني

امتلأت السموات بصراخ عصفور يبكي .

١٩٧٦

★●★

سنبلة مريم

يا مريم •• يامريم

الى أين أنت ذاهبة لتختبئي مني ؟

العصافير المغرر بها لا تغني لك •

الفراشات المهذبة لا تجرؤ على معاشرتك •

والسنابل التي تملأ الحقل

ليس بينها من تقول :

أنا سنبلة مريم •

وأنت مثل ذكر النحل

تسعدين مرةً •• وتموتين ••

تدخلين منزل عريسك مرةً •• وتموتين ! •

وأنت لا تملكين سنبلةً

وأنت لا تملكين ممحاةً

وأنت •• لا يكبر بطنك ، ولا تعرفين العذابات الفاتنة

وأنت •• لا يجيئك أحد بزهرة إلا مغتصبا

ولا أحد يقول عن عينيك : ما أوسعهما •

في قلبك غابات صنوبر سوداء •• وأعناق زنابق مائلة

تحت قدميك زلازل وأفعوانات

وملاقط كهربائية نهمة •

حلمتا نهديك لن تصيرا بنيتين أبـــدا!

والحليب لن يقطر منهما •

••• مريم يامريم

ان كنتُ مسيحاً وصادفتني عند حافة البئر

فهل تعدينني بسلام روحك ؟

تسقينني ماء ، وتطيّبين وجهي ؟

تلجئينني الى نعمة قلبك •• وتباركين جسدي ؟

تطردين الرماد والظلمة

وتصادقين فراشات الحقل والسنابل والهداهد الحكيمة ؟

•••••••••••

رحلت مريم ، ولم ترحل الحجارة

انطفأت مريم ، ولم تنطفيء النار المهلكة

السنابل ذهبت الى البيدر •• ومريم دخلت في الأرض •

••• ومريم لم تكن تبكي

ومريم لم تكن تحمل الحجارة •

مريم الزرقاء المتوجة بالسحب والمزامير والنواميس الصعبة ..

كانت نائمة عند حافة البئر

وكانت ... تبتسم .

....

« مريم .. يامريـــام »

أسمع سنبلة تناديك ،

إن كنت ما تزالين حية

فتعالي نركض اليهـــا

١٩٧٥

★●★

صباح الخير

معاذ الله

أنا لا أريد أن أقول لك : وداعاً

لأن ذلك يعني أن كل شيء قد بات منتهياً

العصافير والموسيقى ورحلات المساء البسيطة في الأحياء المجاورة

الحساء الساخن على مائدة صغيرة

الشجارات العابرة التي لابد من وقوعها

الفرح بكلمات الطفل الأولى

أنت

الأصدقاء الذين سنقوم بزيارتهم

الهدايا التي وُعدنا بها ... وستأتي حتماً

المطر والأعشاب والكتب

وكل الأشياء .. كل الأشياء .

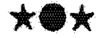
... معاذ الله

أنا لا أريد أن أقول لك : وداعـاً

فقط .. سأبتسم وأقول لك :

صباح الخير

دمشق ـــ ١٩٧٥



أسئلة

أريد أن أسأل العصافير

كيف تبكي حين تدركها الطلقة .

أريد أن أسأل أشجار الغابة

كيف تتأوه حين يخضعها الحطابون ويرغمونها على النوم .

حتى الحجارة : وهي تتفتت ،

أريد أن أعرف مشاعرها الحقيقية ،

والنواقيس .. كيف لا تسيل دماً أو بكاءً .

أريد أن أسأل ديدان الأرض

عن الظلمات الشديدة الكثافة •• والبرد الخالي من الشفقة •

الحمار عن أبوّته •

شارات الطرق الموصلة الى المدن البعيدة

أريد أن أعرف أسرار وحشتها المسائية المجللة بالصدأ

والرطوبة واختلاجات المعادن الساكنة •

كل ما يزحف أريد أن أتسلل الى قلبه ، وأصرخ نيابة عنه ،

كل دابة سيق صاحبها الى الذبح •• وما تزال ترعى •

كل جماد يائس •

كل حشرة •

كل حبة لوز صغيرة تسقط في غير أوانها

أريد أن يكون لها نصيبها الحقيقي من قلبي لتأنس فيه •

••• وأما الانسان

أمـا الانسان

الكائن الكبير الذي يتكلم في الحب ، ويحسن تصريف الأفعال

وقيادة القاطرات

والتأمـل

والكذب الأبيض . والكذب الأسود

واختيار الأحذية المناسبة

ومقابض الأبواب

والدفـاتر

ودرجات تركيز الأحماض الكيميائية القاتلة ...

الانسان ..

الانسان الذي يبتسم ويعرب عن مشاعره

ويغني كيفما اتفق

الانسان الذي يصنع الموت الكثير

والأفراح التي لا تكاد تملأ راحة اليد الواحدة !!••

أما هــذا ، فلا أريد أن أسأله

ان كانت السياط التي تهبط على جسده

قد تضطره أحيانا لأن يصرخ بكل حناجره :

« آه ••• يا أمي •• »

دمشق ــ ١٩٧٥



واأسفاه

أنا أعرف جيداً الى أين أمضي

أعرف جيداً الى أين أسوق نفسي

الى أي حتف •• وباتجاه أية زلازل

أعرف الموت ؛ دونما حاجة الى شم رائحته ••

وأستطيع ؛ دون سابق تجربة ،

تقدير رطوبة الأمكنة ، تحت سطح الأرض ؛

حيث يرقد الموتى

وضوائف الحلزون ..

جذور النباتات

والأفاعي النائمة ..

بذار القمح الموشك

وما تبقـّى من المسالك والأزمنة والمدن القديمه ..

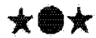
أعرف كل شيء .. وكل شيء

وأعرف جيداً الى أين أمضي

مع ذلك .. لن يخطر لي أن أقول لأحـــد :

وا أسفاه ..

١٩٧٦



اغتصاب

الرجل الذي تحت الشجرة

نظر حوله فأبصر دمـاً وبقايا ثياب امرأة !..

توجس الرجـل

وتخيل ثيابه ملقاة في نفس الموضع

١٩٧٥

مضحكون

هبطت العصافير الى البيدر وأكلت حاجتها ..

شبعت العصافير

فتراكضت في الشمس تفلّي أرياشها وترقص .

نزلت الأمطار فهربت العصافير

واحتمت ، مرتجفةً ، بأغصان شجيرات قريبة .

....

مضحكون

أولئك الذين يسألون العصافير :

« لمــاذا ترتجفين من البرد ؟! » •

١٩٧٥

الجريمة

قالت الذئاب للكلب :

لماذا تنبح ؟

قال الكلب للراعي :

لماذا تحمل بندقيتك ؟

قال الراعي للخروف :

لماذا تخفض رأسك وأنت تقضم العشب ؟

.. جاء الجزار وساق الخروف الى المسلخ

أما الخروف

فقد مــات

دون أن يقول شيئاً

١٩٧٥

فقط

أريد زهرةً ،

أريد عصفوراً ،

منزلاً وأغنية .. وأن أستلقي في الشمس .

أنا لا أريد خنجراً

أنا لا أريد قنبلة

أنا .. أريد أن آكل ، وأحب ، وأستمع الى الموسيقى

....

أنا لا أريد شيئاً آخر .

١٩٧٥

مكان لائق

الذي أراد ذبحي

سألني :

أين تريد أن أقطع رأسك ؟

قلت له : لا أعرف

هلم نبحث عن مكان لائق ،

تجولنا في الشوارع ،

دخلنا الى البارات ،

تسللنا الى بر"اكات قادة الجيوش :

طرقنا أبواب أناس نعرفهم

بحثنا في الساحات والكتب ومصبّات الأنهار ...

ولكننا لم نعثر على مكان لائق بذبح انسان !!

فما كان من صاحبي

الا أن ذبحني ـ مضطراً ـ في عرض الشارع

ولهذا ...

أنـا

حزين

هـذا اليوم

١٩٧٦

قلاية الفراريج

أرى . كما لو أن ذلك يحدث الآن ،

كيف . في يوم غير بعيد :

سيقطعون جسدك شرائح شرائح

صغيرة ومتوسطة .. وذات أشكال لا حصر لها

ولسوف يلقون بها الى قلاية الفراريج

وينتظرون أدوارهم

ثم يتخاطفونك

أحدٌ الى مائدة ذات قشرة رقيقة من خشب الجوز الجيد

وآخـــر الى طبق عادي من القش

وثالث ، بكل بساطة ،

يتناول حصته بمنديل ورقي ناعم

تعلم استخدامه للمرة الأولى ،

•• وأنت رجل تعرف الحق

كما تعرف امرأة ثياب ولدهـا القتيل ••

وتحب الخـير

كما يحب طفل تعلّم المشي حديثاً •• ألاّ يظل جالساً ••

وتعتقد أن أحداً لا تطاوعه يده على طعن آخـر

بسـكين في صدره ••

مرةً أو عدة مرات ••

لكنك تعرف أيضاً

أن أي شيء مثل أي شيء

وسيان أن يكون لحم الانسان صالحاً لقلاية الفراريج أم لا ••

ذلك لأن أحداً ، حين يأكل ،

لا يستطيع أن يميز بين لحم إنسان أو عصفور أو •• حتى قطة !

وتعرف أنه ، فقط .

من أجل أن يتحول اللحم الحي الى شرائح

صغيرة ومتوسطة •• وذات أشكال لا حصر لها ••

فقط من أجل ذلك

صنعت قلاية الفراريج •

١٩٧٥

خروف بسيطة

أعترف لكِ الآن ؟..

أنا صديق حقيقي للعصافير

أو أقول لكِ ؟..

أنا صديق حقيقي لكل الأشياء

بغير ذلك لا يكون شيء" مفيداً ..

لا يختلف الراعي عن الجزار ؛

بغير ذلك .. تصير شجرة الحور أشبه بعسود المشنقة

وليس ، غير البريق ، ما يميز الأعشاش عن خوذات المحاربين

....

من أين آتيك بالكلمات الصالحة

اذا كانت كل ثانية تخسر مئات القتلى ؟!

أي الطرق يمكن للإنسان أن يسلكها

إذا كانت القنبلة قادرة على صناعة الموت

مهما اتخذت لنفسها من أشكال ؟!

والدم البشري الساخن .. الدم الأحمر الحقيقي

تستطيع قطعة شوكولا صغيرة مزورة أن توقف حركته

وتجعله أميل الى لون ثمرة الخرنوب الجافة

....

سأقول وداعاً لك : انها ليست غلطتي

سأقول رصاصاً للذئب : كان يستطيع أن يكتفي بالحشائش

سأقول للدواجن الغبية أسفاً :

كانت تستطيع أن تتعلم ، طوال حيواتها الشاسعة ، أن الأعلاف

التي تسمن بها ليست سوى دماء حقيقية لكائنات مذبوحة بغير

وجه حق

سأقول للعصافير : حاذري

ثمة رصاص كثير

والقلاع لا تسقطها الأغاني

•••••••

أغسل يدي وأتبرأ منك°

أنعس سريعاً ولا أقوى على مساهرتك°

أموت مشنوقاً ولا أغتسل من قذارتي

أيها المسيح العظيم

أنا أرثي لك°

•••••••

ديكة ، ديكة ديكة :

هذا نحن ••

نصيح كثيراً

ولكن الشمس هي التي تذكّر صاحب الزريبة بأوان إفطارنا

الصباحي .

تعساء حقاً

بكاؤون بغير جدارة .

مع ذلك .. نستطيع أن نشفق على صرخة الولد الصغير

هبّة حزن يسيرة .. تجعل كل الماضي يتضح

والجمالاتِ الضائعةَ تتفسّر .

تتفتح كزهرة .. وتؤلمنا الذنوب الصغيرة ؛

لا دم إلا وشاركنا فيه

لا قنبلة الا ونسجنا فتيلها

لا محرقة إلا وأضرمنا فيها النار !!...

مع هـذا ..

نستطيع بلمسة يد طيبة ،

بكلمة حب مضمرة ،

باليسير من الطعام الصالح ،

بسكن متواضع ، وزوجين من الجوارب النظيفة ، وفرشاة أسنان

وماعون من الورق الأبيض لتجسيد عذاباتنا العاطفية ...

نستطيع الاحجام عن إيذاء الزهرة اليتيمة

المُتفتحة باستحياء على سياج الشارع :

تلك مأثرتنا

ولا شيء يدعو الى ابتكار المعصية .

●

على المنضدة نبيذ وقدحان فارغان

واحد لي .. وواحد لحبيبتي .

حبيبتي قادمة .. وأنا أنتظر .

....

على المنضدة قدحان يرشحان نبيذاً

واحد لي •• وآخر لحبيبتي •

حبيبتي لم تأت ؛ وأنا أنتظر •

•••••••

على المنضدة قدح واحد من النبيذ :

نسيت حبيبتي الموعد ••

وأنا أشرب نخبها

●

الثور الأسود ، ذو النجمة البيضاء على الجبين ،

متوعك هذا الصباح

حزنت كثيراً بادىء الأمر

ليس من أجل أجرة الفلاحة التي لن أتقاضاها عند المساء

ولكن من أجله أيضاً ••

ذهبت « حنة » الى المرعى ، وليس بمقدوري تحمل كل شيء

بمفردي •

في القلـــة مـــاء كثير ،

ولدينا مـــا يكفي من البيض ،

وثمة غيمة بيضاء صغيرة تزحف باتجاه الحقول •

جاءني « الزير » مستحياً •• وصبّحني

(أنا والزير متخاصمان منذ الصيام الفائت)

قال : يافهد •• ياصاحبي

لدي بقرة وحيدة وليس عندي سكة للفلاحة

إن كنت تحبني فتعال خذهـــا •

(الانسان مليء بالانسان •• اذا أردنا أن نصدق ذلك)

••• أخذت البقرة

وحصلت على أجرة الفلاحة

وفي المساء •• شاركني « الزير » أطيب حساء طبخته « حنة » منذ

الصيام الفائت .

....

هــذا شيء مما حدث

ونحن الآن على أبواب « المرفع »

جاءني « الزير » ضاحكاً .. وصبّحني

قال : يافهد ، ياصاحبي

هل تقبل أن تكون شاهد عرسي ؟!

....

حين نريد التصديق .. نستطيع أن نكتشف :

الانسان مليء بالانسان

ولا شيء ، أبداً ، يجعل أعشاش العصافير

شبيهة بخوذات المحاربين

١٩٧٥

★●★

قصيدة القافلة .. يذهب إلى الجبّانات

عن أي شيء يمكن أن يتكلم .. الرجل حين يبلغ الثلاثين ؟

أية أغنية فريدة يمكن أن يغنيها .. الرجل حين يبلغ الثلاثين !!

إنه ، فقط ، يريد إعادة الحسبة ..

يحصي ما ذهب منه وما يمكن أن يكون باقياً ..

يتأمل كثيراً ويحاور الجدار الأبيض ..

يوعز للروح أن تكون أكثر صفاءً

والجسد أكثر امتلاء بالانسان :

الرجل حين يبلغ الثلاثين

●

الصاحب المديد القامة يكون مستلقياً ، ليس بعيداً ،

نائماً •• أو يحلم •• أو يدير كلمات قصيدة مزهرة •

حين يبلغ الرجل الثلاثين ، تكون الأرض قد قطعت أشواطاً

وبدلت شموساً كثيرة ،

الناس الذين يصنعون الفرح ويصنعون الكآبة

تغيروا مئات المرات •

ثمار التين نضجت وقضت ثلاثين مرة •• في ثلاثين فصلاً حاراً ••

تتقدم عربات جديدة ••

تبتكر أشكال غير مناسبة من حالات الظلمة التي تهدد الروح •

ومع ذلك •• مع ذلك ••

يسعدنا الظن بأن كل شيء ثابت في مكانه

البيوت القديمة الهرمة ذات الأبواب الكالحة

التي تصدر أصواتاً حين تنفتح أو حين تنغلق ..

الزواريب الضيقة المفضية الى الجبّانات والحقول ومساكن العصافير ..

ولا شيء : لا شيء بتاتاً يجعل العقل يغير من وجهته :

الحجارة تحمل أسماءها .

الأمكنة تذكّر بما كان

والناس بالناس

والأطفال بالشيوخ الذين كانوا أطفالاً ..

كل شيء .. كل شيء ما يزال مليئاً بأوصاف كل شيء آخر ..

كانت الدابة تلقينا عن ظهرها حين تتعب

وكنا ننقل المياه في علب كبيرة من الصفيح الداكن .

الدابة لم تغير أخلاقها .. وما يزال الماء بارداً وضرورياً .

كيف أستطيع أن أشرح ذلك على نحو أفضل ؟!

كانت العجوز الخرفة تجمع العيدان الصغيرة ،

تمضي أيامها في الأزقة •• وتجمع العيدان الصغيرة

كانت تعتقد أنها تصنع حياتها : كانت تصنع حياتها •

أحياناً •• كنا نشاكسها ونسرق العيدان من الأزقة ،

وفي أحيان أخرى كثيرة

كنا نتفوق بطيبتنا على الفراشات والعصافير الجاهلة الصغيرة ،

لعل العجوز ما تزال تتذكر !!

أسفاً •• أسفاً ••

العجوز الخرفة التي ماتت •• لم يعد بمقدورها أن تتذكر شيئاً

مما كان

من زمن شاسع حدث ذلك ــ لا أحد يستطيع الإنكار ــ

كنا نخف الى نجدتها •• ولم نكن مبتئسين •

ولقد حدث ، ذات يوم ، أن دعتنا اليها •• ولم نكن مبتئسين •

بمحبة تجعل الطفل يخجل من نفسه •• أشعلت ناراً

وأعدت الشاي ، وأطعمتنا ثمار بلوط كثيرة •

هذا ما حدث تماماً •• ولم نكن مبتئسين

لم نكن نخاف العجائز الخرفات اللواتي يجمعن العيدان الجافـة

من الأزقـة

كنا نحب بعضنا بعضاً ، ولا نستحي من ثيابنا •

الآن •• صار عمر الرجل ثلاثين عامـاً

قطف تين كثير . وانهدمت منازل ، وذبحت أعداد غفيرة من الماشية ،

الفتاة الصغيرة صار لها أولاد نظيفون

يخافون العجائز الطائفات •• ويستحون حتى من ثيابهم

لا يبكون إلا نادراً •• ويجهلون الفرح الحقيقي •

إنها ، على أية حال ، ليست أكثر من ذاكـرة تصر علـى التشبث

بما كــان .

مثل شجرة لا تعرف القراءة والكتابة

ترفض مغادرة الحافة التي آوتها .

مثل وطاويط الليل .. والأزهار الحقيقية .. وديدان مطالع الربيع

تعرف كيف تحب مواطنهــا على نحو شديد الجمــال .. وشديد

البساطة

مثل عصافير التين .. لا تبدل لهجتها ولا تخون الفطرة .

لابد أن نعرف ذلك ، لابد أن نتعلم منه :

الأشجار التي ظللتنا لا يجب نسيانها

الينابيع التي سقتنا ماءً .. من العيب ألا يظل ماؤها لطيفاً تحت

ألسنتنا .

حتى ونحن نستحي بما علينا من ألبسة .. من الصعب ألا تتذكر

ذلــك .

الديكة المخادعة التي تتصايح في زرائبها قبل الفجر

مبشرة بصباح يريد أن يأتي ، بنية خالصة الطيبة ..

البغال والنوارج وحساء العدس الساخن

المشاجب المنزلية التي .. كأنهـا لا تستطيع مغادرة الحائط الذي

هي فيه .

سترة الوالد التي لا تستريح إلا نادراً :

بضع ساعات صغيرة في الليل .. أو حـين يكون المرء على وشك

أن يموت !!

مع ذلك لا تتخلى السترة عن رائحتهـا

تحرص باعتزاز على تجعداتها اللطيفة

وبروز كميها ، حيث يكون كوعا الرجل عادة .

من السترة نستطيع أن نتعلم ،

من أعشاش العصافير وسنابل الحنطة وعتبات المنازل .

من أمطار الشتاء ؛ حين تسلك ذات الطرق المتلجلجة التي صنعتها

لنفسهـا في انفضاءات والمنحـدرات الركيكة والأودية الشديدة

الإظـلام .

بعين واحدة يستطيع الانسان رؤية ذلك كلـه

وها نحن الآن

ثلاثون سنة ، وعينان ، ورأس طافح بالحكمة الزائفة والكتب المريرة

مع ذلك .. تلزمنا أوقات مديـدة لتذكر المواعيد انهاربـة التي

أخلفناهـا .

كثير من البكاء يلـزم لنا ، حـين نتطلع الى الشوارع التي توقفنا

فيها فجـأة ..

وقلنا للأوفياء من أصدقائنا :

وداعـاً .

كتب كثيرة تلزم لأن تجعل الذاكرة حية

والقلب نظيفاً

والانسان مليئاً بالانسان •

حزن كثير يلزم لمعرفة ما يفكر به الصديق المديد القامة

حين يستلقي ويحلم ويدير الكلمات

ثم ينام •• كعود هزيل يابس وأجرد

ولا يكون قد تذكر أن الأغنية الرديئة تفسد النوم

والمصابيح الوقحة تجعل الأحلام أكثر بشاعة

لكنه ، مع ذلك ، يستطيع أن ينام

دونما صرخة شر مضمرة

دونما دم يحلم بإراقته

دون رصاصة قاتلـــة يبتكرها •

هو ، أيضاً ، ثلاثون سنة ، وعينان •• ورأس منافح بالا [illegible] •

ما يزال نائمـــاً

من أمطار الشتاء ، حين تسلك ذات الطرق المتلجلجة التي صنعتها

لنفسهـا في الفضاءات والمنحـدرات الركيكة والأودية الشديدة

الإظـلام •

بعين واحدة يستطيع الانسان رؤية ذلك كلـه

وها نحن الآن

ثلاثون سنة ، وعينان ، ورأس طافح بالحكمة الزائفة والكتب المريرة

مع ذلك •• تلزمنا أوقات مديـدة لتذكر المواعيد الهاربـة التي

أخلفناهـا •

كثير من البكاء يلـزم لنا ، حـين تتطلع الى الشوارع التي توقفنا

فيها فجـأة ••

وقلنا للأوفياء من أصدقائنا :

وداعـاً •

كتب كثيرة تلزم لأن تجعل الذاكرة حية

والقلب نظيفاً

والانسان مليئاً بالانسان .

حزن كثير يلزم لمعرفة ما يفكر به الصديق المديد القامة

حين يستلقي ويحلم ويدير الكلمات

ثم ينام .. كعود هزيل يابس وأجرد

ولا يكون قد تذكر أن الأغنية الرديئة تفسد النوم

والمصابيح الوقحة تجعل الأحلام أكثر بشاعة

لكنه ، مع ذلك ، يستطيع أن ينام

دونما صرخة شر مضمرة

دونما دم يحلم بإراقته

دون رصاصة قاتلة يبتكرها .

هو ، أيضاً ، ثلاثون سنة ، وعينان .. ورأس طافح بالكتب .

ما يزال نائماً

يحلم بالعجائز الخرفات والعيدان التي تملأ الأزقة

عرف أعشاشاً لا حصر لها ،

صعد جبالاً ..

قفز عن الأسيجة وأحب الحقول .

ومع هذا .. مع هذا ..

تعالوا نبكِ

تعالوا نذهب قليلاً

أو ..

تعالوا نصمت الى حين ..

ثمة جبّانات كثيرة .. لابد أن يذهب المرء اليها .

أيار ١٩٧٦

★●★

الثالثة صباحًا .. الثالثة دمًا

: للزهرة الوحيدة في الآنية

للمرأة الوحيدة في السرير

لصيادي الأسماك ومعلمي المدارس

للأسرى والمحزونين وطالبي صدقات الرب

للطيور الجائعة وأسلاك الهواتف البعيدة :

نحن هنا • نحن هنا

لسنا جائعين ولا حفاة

لا أرامل ولا أيتاماً

لدينا كتب وجوارب ونوافير مياه

عصافير وبنادق وأسلاك شائكة

هوايات نادرة ومحابر مليئة بالأسماك والقصائد والحمات

الراشحة

نكتب نهاياتنا السديدة .. ونبعث بتحياتنا الى الموتى

نتثاءب وننتحب

ننـــام ونفتح شبابيكنا للصراصير والأفاعي والكوابيس

الملونــــة

نحن هنا .. نحن هنا . واليكم آخر الأنباء :

نحن هنا

نرسم سماوات زرقاء وأزمنة ساطعة

نقيس حرية الوطن بالتوابيت

وننتظر سقوط الطفل الأخير من شرفة الطابق السادس

طمنونا عنكم » •

●

للزهرة الوحيدة في الآنية

للمرأة الوحيدة في السرير :

لا سماء عندنا ولا عصافير

لا أزهـار ولا بنادق

قلوبنا قاسية وجسورنا متطوعة •

غسلنا أسناننا جيداً

وها نحن نتلقى جثة الطفل الهابطة من الطابق العشرين

●

حزين من الله •• حزين من قلبي

حزين من المسيبي ، حزين من الأرصفة •

إنهم ينتظروننا هناك

يهيئون دفاترهم لتصنيف الزواحف والفراشات والأرامل

الساعة الثالثة صباحاً

الساعة الثالثة دمــاً

نحن هنــا

نكتب نهاياتنا المجيدة

ونحيي الأصدقاء الموتى

....

الثالثة صباحاً

ليست نهاراً وليست من الليل

الثالثة صباحاً .. ثقيلة وذات أجنحة

بيضاء وكالحة ؛

الثالثة صباحاً :

لقد غسلنا أسناننا جيداً

الثالثة صباحاً

على هذه المائدة يستعرضون ألسنتهم وأظلافهم

رجال القواطع الساحرة والأظافر المشعثة

يستظهرون الوصايا العشر وقبلة يهوذا الفاتكة ..

السردين المعلب وسيرة حياة الامبراطور بوكاسا

يسلون ألسنتهم الاضافية وأظافرهم المهيأة للإطباق

والدم وموائد الثالثة صباحاً

ثم ... يبتدئون بمصمصة عظام الرجل « ب. » !!

....

سلاحف ذات دروع ، وأبطال بألسنة جديدة

بقرة ضاحكة ومعاجين أسنان

توما الاكويني

بيلاطس البنطي

كاريل تشيسمان ..

وهم أيضاً

يتداولون على مائدة الرجل « ب. »

(الساعة الثالثة عظاماً)

ثم يبتدئون بالتهام قلب الرجل « أ. »

●

الثالثة سواداً

الثالثة ذات الزمن المفتوح والعقارب النشطة ..

يشهرون أسنانهم ودساتيرهم .. ثم يلتهموننا

ونحن أيضاً

نشحذ أسناننا ونتلمظ

نستعرض الوصايا العشر وغيفارا الوسيم وأنستاسيا الساحرة

ثم نلتهم الرجل ب والرجل س ورجال الأقاليم الأخرى

....

الثالثة تحديداً :

« لا أستطيع أن أبكي »

●

أنت وحيدة وأنا وحيد

هناك ... وهنا

قمر واحد وظلمة واحدة

جسور هابطة وبكاء مكتوم

وفي قلبي ، كما في قلبك ،

بين عيني : كما بين عينيك ؛

ساعة ثالثة ؛ سوداء كبيرة

تكسو الأبجديات والكواكب والقلوب النائمة .

أنت وحيدة وأنا وحيد

الثالثة دمـاً

الثالثة عظاماً

وأنا أقول : تعالي ، وأنا أقول : تعالي

أيتها اليتيمة في الآنية

أيتها المهملة في السرير

أنت وحيدة وأنا وحيد

أنت وأنا •• نساوي اثنين كبيرين

ولا يأكل أحدنا من عظام الآخر

•••••••••

الثالثة حبـاً :

قمر أسود كبير ، جالس في سماء موحشة

يستجدي قبعة أو منديلاً

سروالاً أو لفافة تبغ

بركاناً أو أغنية .

الأسود الكبير الهالك

فجر الثالثة صباحاً .

●

حزين من الورقة الذابلة والزمن المعطوب

حزين من الأوبئة وتساسيج الأمازون واختبارات التربة القمرية

من قابيل الشامل الى أشعة لازر

أنقب عن سن واحدة نظيفة .. وقلب واحد مليء ،

من شاربي هتلر الى موائد الثالثة صباحاً

أنقب عن أعلام بيضاء .. وسلام بلا جثث

عن فجر دائم وسماوات مفتوحة

يدي في جيبي .. ويد الرجل س . على مقبض خنجره

يدي على خنجري •• ويد الرجل م على قلبه •

الرجل س • والرجل ب• ورجال الأجناس الأخرى •••

اليسرى على القلب

واليمنى على مقبض الخنجر :

الثالثة السوداء الكبيرة •

●

نسدد جيداً ونشد على جراحنا المفتوحة للذباب والأناشيد

والشيكات المصرفية •

من قابيل الحي الى عمر أبو عفش •

لكل يوم ثالثته السوداء ولسانه الأبيض

مناديله •• وخناجره

صلواته •• وأطباقه المعدة للإلتهام !

أنت وحيدة وأنا وحيد

أيتها اليتيمة في الليل

أيتها الذابلة في النهار

أنت وأنا نساوي اثنين كبيرين ..

ــ « أين يقع الموت ؟ » ؟!

ــ ليس بيننا

بيننا تقع الحياة

بيننا تقع طلقات الصباح الأولى

وبيننا ... يقع الليل .

حزين من الله

حزين من قلبي

حزين من المجــازر

حزين من الأرصفة :

إنهم يعدون أمعاءهم

لاستقبال جثة الرجل الأخير .

دمشق ــ ١٩٧٧



شكراً

« الى مظفر .. شاهد هذا العصر »

شكراً للألم

إنه يجعل قلوبنا أرق وأكبر .

شكراً للرصاص

إنه يعلمنا قيمة الغناء

ويذكرنا بالموعد الهارب والقبلة المنسية .

شكراً للسجون

إنها تعيد الى الذاكرة لون السماء الأزرق وملمس الحشائش المبهمة .

وشكراً للعالم ..

عن سواده نكتب هذه القصائد الجليلة •

شكراً لنيرون وكاليغولا وهيروشيما ١٩٤٥

للزنزانة المقفلة والصليب المعقوف

للتوابيت والأوبئة وسرطانات الدم

إنها تذكرنا بالحياة التي كانت •• والنسيانات الموشكة •

وشكراً للكوابيس ـ يقول الرجل الخائف ـ

إنها تفتح الطرقات المقفلة •• وترشد الى الزمن الآمن •

وشكراً لليل

إنه يزيد وجوه الطغاة بشاعة وسواداً •

للخناجر البذيئة والأنياب المحكمة •

وشكراً للبكاء ••

وشكراً للنازيين ومحاكم التفتيش •• وبيلاطس البنطي •

وشكراً لقلبي •

إنه ما يزال يحبكم •

١٩٧٧



ماري

ليست جميلة ماري .. ولكن يديها ذكيتان .

ليست قاسية ماري .. ولكن روحها مسحوقة .

ولماري لسان صغير وقلب أبيض ولباس منزلي خفيف .

ليس لها دفتر عائلة .. وأقاربها لا يحبونها كثيراً :

(هم لا يقولون لها ذلك)

ولماري طفلة تموت جوعاً .. أو ... ستموت جوعاً .

وهي ، أي ماري ، انسان صالح للالتهام

جسورها هابطة •• وزمانها محكم الإغلاق •

لا غد لها •• ولم يكن لها بارحة •

فم رقيق وعشر أصابع وتابوت غير مؤكد •

وماري بيننا ••

لا تمد يدها ولا تختلس صحين أحد •

وماري •• تنام كالبشر الأسوياء

تحلم بثوب نظيف وغرفة واسعة وشعر مصنف تدعى به الى أعياد الميلاد وحفلات الأصدقاء الراقصة •

وماري (ليس هذا اسمها) جرح كبير وحياة فائتة

لسان صغير وقلب أبيض •• وأقاربها لا يحبونها كثيراً :

آه لو كنتم . مثلي . تعرفون ماري !!•

١٩٧٧



اتجاه العالم .. اتجاه المنزل

رجل ، ككل الناس :

شريف وطاهر وعنيد

قرر ذات يوم أن يخرج من بيته الى العالم .. باتجاه الشمس العظيمة

حمل كيساً وقلباً واسعاً .. وانطلق من باب منزله .

... ولأنه شريف ، لم يزوّر الخطوط المستقيمة .

ولأنه طاهر ، لم يطلق النار على العصافير النائمة ويقتلع أرياشها

بقصد التسلية .

ولأنه عنيد : لم يدر ظهره للشرق ولم يستأجر حماراً !!

وذات صباح كان قد مشى كثيراً ،

قاسى كثيراً .. وبكى على أموات كثيرين ..

مد يــده ليتأكد ..

ثم أدخل المفتاح وقال لامرأته :

صباح الخير



الفهرس

صفحة

صفحة



كتب للمؤلف

ـ الوجه الذي لا يغيب	شعر	١٩٦٧
ـ عن الخوف والتماثيل	شعر	١٩٧٠
ـ حوارية الموت والنخيل	شعر	١٩٧١
ـ وشاح من العشب لأمهات القتلى	شعر	١٩٧٦
ـ تعالوا نعرّف هذا اليأس	كتابات	معد للطبع



منشورات الاتحاد لعام ١٩٧٨

اسم الكتاب	المادة	المؤلف	السعر	ملاحظات
ـ كتب انصفت حضارتنا	دراسة	فريد جحا	٦٠٠	
ـ فن الرجل الصغير في القصة السورية	دراسة	احمد محمد عطية	٦٠٠	
ـ النكتة الصهيونية	دراسة	محمد ابو خضور	٣٠٠	
ـ الحصار	شعر	علي سليمان	٣٠٠	
ـ بواكير التاليف المسرحي في سورية	دراسة	عادل أبو شنب	٦٠٠	
ـ اعلانات الموت والحرية	شعر	بندر عبد الحميد	٣٠٠	
ـ موت الحلزون	قصص	وليد اخلاصي	٥٠٠	
ـ لا تنظر من ثقب الباب	مسرحية	فرحان بلبل	٣٠٠	
ـ الغنية الغول	قصص اطفال	نصر الدين البحرة	٣٠٠	
ـ هدية عيد الام	قصص اطفال	مراد السباعي	٤٠٠	
ـ دمر عاشقا	مسرحية شعرية	خالد محي الدين البرادعي	٤٠٠	
ـ اعود الآن من موتي	شعر	زهير غانم	٤٠٠	
ـ لعبة القرية	رواية	محمد جلال	٦٠٠	
ـ العاشق الغروب	شعر	الياس لحلح	٤٠٠	

منشورات الاتحـاد لعـام ١٩٧٨

اسم الكتـاب	المـادة	المـؤلف	السعر	ملاحظات
ـ مطارحات في فن القول	دراسة	محي الدين صبحي	٦٠٠	
ـ لعينيك ما اشتهي ان يكون	شعـر	وفيق خنسة	٣٠٠	
ـ الصخرة	روايـة	عبد النبي حجازي	٥٠٠	
ـ انوي واسميك اتجاها	شعـر	سهيل ابراهيم	٣٠٠	
ـ الضوء من الباب	قصص	زكريا شريقي	٣٥٠	
ـ نقد الشعر القومي	دراسة	د. عمر الدقاق	٦٠٠	
ـ الميناء القديم	رواية	محمود صفيري	٦٠٠	
ـ تاريخ جرح	قصص	فؤاد الشايب	٤٠٠	
ـ أمطار لوجه العاشق	شعـر	حسين حموي	٣٠٠	
ـ صخب طيور مشاكسة	شعـر	أسعد الجبوري	٤٠٠	
ـ الممـر	رواية	ياسين رفاعية	٤٠٠	
ـ بين التخلف والحضارة	دراسة	حافظ الجمالي	٨٠٠	
ـ معروف الرصافي	دراسة	الدكتور ابراهيم كيلاني	٦٠٠	
ـ سياسة في المسرح	دراسة	علي عقلة عرسان	٨٠٠	
ـ عراف الشريعة والصفصاف	شعـر	احمد مفلح	٣٠٠	
ـ الكتابة في دفتر دمشق	شعـر	اسماعيل عامود	٣٠٠	
ـ النقيض	روايـة	د. أفنان القاسم	٥٠٠	
ـ أيها الزمان الضيق .. أيتها الارض الواسعة	شعـر	نزيه أبو عفش	٤٠٠	
ـ الصيادون ولعبة الموت	قصص	قمر كيلاني	٥٠٠	
ـ جرائم دون كيشوت	قصص	هاني الراهب	٥٠٠	

تحت الطبـــع

اســم الكتــاب	المادة	المــؤلف
المبنى	رواية	جمال جليد
نقوش على حجر العصر	شعـر	عبد الرحمن فخري
مرايا ادبية	دراسة	سعد صائب
حفنة تراب على نهر جفجغ	رواية	وهيب سراي الدين
الفلسفة تبحث	دراسة	ابراهيم الفاضل
الأفـوى	قصص	محمد زفزاف
كوكب الاحلام	قصص للاطفال	طالب عمران
الحقيقة والرواية	دراسة	د. منير صلاحي الاصبحي
عيون تحت الليل	قصص	مبارك الدريبي
الغزل العذري (دراسة في الحب المقموع)	دراسة	يوسف اليوسف
لماذا حزنت العصافير	قصص للأطفال	نزار نجـار
ان الأدب كان مسؤولا	دراسة	جلال فاروق الشريف

سعر النسخة

سورية ٤ ل٠س ـ الكويت ٤٥٠ فلس ـ عدن ٨٠٠ فلس ـ البحرين ٩٠٠ فلس ـ أبو ظبي ١٠ دراهم ـ ليبيا ٦٥٠ درهم ـ المغرب ٨ دراهم ـ السودان ١٠٠٠ مليم ـ مصر العربية ٦٠٠ فلس ـ لبنان ٤٠٠ ق٠ل ـ الاردن ٤٠٠ فلس ـ قطر ٨ ريالات ـ السعودية ٧ ريالات ـ دبي ١٠ دراهم تونس ٨٠٠ مليم ـ الجزائر ٨ دنانير ـ العراق ٤٥٠ فلس ـ الخليج العربي ٨ دراهم ٠

طبع في دار الرشيد

دمشق - المطبعة الهاشمية

١٩٧٨ ، ١٢ / (١٠٠٠)



منشورات اتحاد الكتاب العرب
طبع في دار الأنوار للطباعة - دمشق

السعر ٤ ليرات